كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية ممثل راعي المؤتمر السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية.

السادة أعضاء القيادتين القومية والقطرية - السادة أعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية - السادة الوزراء - السادة السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي.

السادة العلماء والباحثون - السادة الضيوف

أيها الحفل الكريم

أحييكم أحسن التحيات وأطيبها، وأرحب بكم أجمل الترحيب وأجزله، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور لنحتفي بافتتاح مؤتمر ((تيسير تعليم النحو)).

- ١ -

إننا نعلم جميعا ما للغة من أثر بالغ في حياة الأمة، فهي وعاء الفكر، وأداة التواصل والتعارف بين أبنائها، توثّق صلاتهم، وتنمي ثقافتهم، وتعصمهم من الفرقة والشتات. وهي، إلى ذلك، مستودع ذخائر الأمة ونفائِسها، وتراثِها، تصل حاضرها بماضيها.

وقد دعت هذه المنزلةُ السامية التي تحتلها اللغةُ الأمم جميعا أن تعنى بلغاتها، وتوليها الاهتمام كله، وتدأب في العمل على ترقيتها؛ لتكون وافية بمطالب الحياة المتجددة .

ولعله يحسن هنا أن نذكر أن اللغة العربية تختص بمزية في هذا الباب تكاد تنفرد بها، وهي أنها كانت وما تزال اللغة الحية التي تتداولُها الأمة منذ سبعة عشر قرنا أو

يزيد، تقرأ بها تراثها، وما جادت به قرائح المبدعين من أبنائها، وتستمد منها الخالد الباقي يغني حاضرها ومستقبلها.

إننا نترنم بأشعار الجاهلية، ونتملّى روائعها تحدثنا عن مفاخر الأمة ومساعيها.

وننتقل من بعد إلى تلاوة القرآن العظيم كتاب الله المجيد الذي حفظ العربية وجلا بيانها، وندرس أحاديث الرسول الكريم (ﷺ)، وما جاءنا من آثار عصر النبوة وأخباره، وما تلاه في عصر الراشدين والأمويين ومطالع العصر العباسي من آثار الشعراء والكُتاب والعلماء، لتطالعنا من بعد، إلى جانب الشعر الرائع والنثر البليغ، الذخائر العلمية والفكرية والأدبية التي خلّفتها العصور التالية منذ القرن الثالث الهجري، والتي شارك فيها إلى جانب العرب الشعوب الإسلامية التي أقبلت في شرق الدولة وغربها على تعلم العربية والتأليف بها. فكانت لنا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات العربية الغنية بمحتواها في شتى أنواع المعرفة. ويكفي أن يلقي الباحثُ نظرة على ما فاض به القرن الرابع الهجري من نتاج خصب ليدرك تلك النهضة الحضارية التي عمت العالم القديم، ويستبين قدرة اللغة العربية المعطاء على التجدد واستيعاب المعارف: حاضرها وماضيها، وقد عرضت هذه المعارف، على تعددها وتباينها، في أسلوب واضح معجب، زادها جمالاً وإمتاعا.

إن هذا التراث الثقافي العظيم الذي قدمته لنا العربية المبينة على امتداد الزمان واتساع المكان ليملأ نفوسنا ثقة واعتزازا بلغتنا، ويزيدنا حرصا على الاهتمام بها، والرفع من شأنها، والعمل الدائب لترقيتها وازدهارها.

لقد وقف مجمع اللغة العربية عمله على العناية بالعربية، والسعي الحثيث لإغنائها، ووثّق صلاته بالمجامع اللغوية العربية الأخرى، للتنسيق وضم الجهود. وإن المجمع لشديد الحرص على معالجة القضايا اللغوية التي يطرحها العصر، يتناولها بالبحث والدراسة كي يصل إلى الحلول المرجوة.

وقد اختار لهذا العام أن يكون موضوع المؤتمر ((تيسير تعليم النحو))، وإننا لنأمل أن تنتهي بنا الدراسات والبحوث التي تناولت الموضوع من جميع جوانبه إلى الغايات التي نتطلع إليها إن شاء الله.

- ٢ -

لقد تحدث جماعةٌ من العلماء العرب قديما عن صعوبة النحو، لعل من أقدمهم الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) سيد كُتاب العربية بقولته المشهورة: ((وأما النحو فلا تشغل قلبه (يعني الصبي طالب العلم) إلا بمقدار ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام، في كتابٍ إن كتبه، وشعرٍ إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلةٌ عما هو أولى به، ومذهلٌ عما هو أرد عليه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع)).

ويبرز في عداد الشاكين القدماء من صعوبة النحو وعسره ابن مضاء القرطبي (أحمد بن عبد الرحمن ت ٥٩٢هـ) الذي أفرد للدفاع عن نظراته في النحو كتابه ((الرد على النحاة))، ومما نادى به إلغاءُ نظرية العامل.

ولقيت هذه الدعوات الشاكية صدى واستجابة، وأُلفت تيسيرا للناشئة متونٌ ومختصرات في النحو كثيرة لتصحح نطقها وتقوم ألسنتها.

ثم جاء العصر الحديث لتكثر الشكوى من النحو وصعوبته، فقامت محاولات مختلفة، وبذلت جهود كبيرة، بدأها رفاعة الطهطاوي (١٨٠١- ١٨٧٣هـ) الذي قاد حركة التعريب في مصر، ووضع أسس النهضة الفكرية، وأنشأ مدرسة الألسن، فألّف للناشئة كتابا سماه ((التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية))[1] .

وتتالى التأليف في هذا الباب، وتتالت الكتب والدراسات والتقارير والندوات،

---

(1) تيسير النحو التعليمي قديما وحديثًا للدكتور شوقي ضيف: (١٣، ١٨- ٢٦).

وسلك العلماء في ذلك مسالك شتى، تباعدت أهدافُها وأغراضها من التجديد المتطرف والثورة على النحو التعليمي المألوف إلى الاعتدال المتروي. وكان حظ النجاح في ذلك كله محدودا، لم يحقق الغاية المرجوة، لتعدد الأهداف وتصادمها، والاختلاف بينها.

- ٣ -

لقد أفدنا من التجارب الكثيرة المتنوعة التي قام بها العلماء السابقون لنقدم موضوعا نراه أقرب إلى التحقيق، وأكثر استجابة لحاجات الناشئة، فبسطنا دواعي اختياره، وذكرنا محاوره الأساسية التي تتيح لنا أن نصل من وراء معالجتها إلى الغايات التي نرمي إلى بلوغها من تيسير تعليم النحو وتقريبه إلى الناشئة. وقد تناولت المحاور إلى جانب قضايا النحو الأسس التربوية والنفسية والمنطقية لتأتي التوصيات تلبيةً لما نرجوه لها من تحبيب النحو إلى طلابنا الأعزة.

ويحسن أن تعنى المدرسةُ بتدريب الطلاب على إيراد أمثلة مختلفة تطبيقًا لما تعلموه من قواعد النحو لترسخ في نفوسهم، زد على ذلك تشجيعهم على المطالعة وصحيةِ الكتاب ليألفوا الأساليب العربية وطرائق التعبير الجميل.

وهنا لابد من وقْفَةً نبين فيها أن تيسير تعليم النحو، وتحبيبه إلى الطلاب ليقبلوا عليه ويحفظوا قواعده إنما هو خطوة لابد منها، ولكنها وحدها غير كافية لتمكن الطلاب من التعبير الصحيح وإجادة الكتابة. فقد ذكر علماء اللغة والتربية أنّ تعلم اللغة لا يتأتى بتعلم النحو وحده، وأن طريقها الأول إنما يتأتى بسماع فصيح الكلام ومحاكاته، حتى تصبح اللغةُ ملَكةً راسخة في النفس.

وإذن فنحن مدعوون لإيجاد البيئة اللغوية، التي يمكن أن يستمع فيها الناشئ إلى اللغة السليمة ليحاكيها وينسج على منوالها.

وأبرز بيئتين لغويتين تؤديان بنا إلى النتيجة التي نتطلع إليها هما:

البيئةُ الدراسية في المدارس، والاستماع إلى وسائل الإعلام التي تلتزم اللغة

الفصيحة. مما يقتضينا أن نهيئ الأسباب لتنهض هاتان البيئتان بالمهمات اللغوية.

فعلى المدرسة أن توجب على المدرسين في مختلف المراحل الدراسية أن يتكلموا باللغة السليمة، ولاسيما مدرسو اللغة العربية ليستمع إليهم الناشئة وينصتوا لحديثهم، وتألف آذانهم العبارة العربية الصحيحة المستساغة.

وعلى المدرس أن يدرب طلابه على التكلم بعبارات سليمة، وأن يبعث في نفوسهم الإحساس القوي بما للغة من شأن كبير في حياة الأمة.

إنها الخطوة الأساسية التي تأخذ بيد الناشئة ليتحدثوا بالعربية السليمة، ويعبروا عما في نفوسهم التعبير الحسن، وإن احتضان المدرسة الطالب عدة سنوات يستمع فيها إلى الكلام الصحيح يهيئه أن يعتاده ويحاكيه، مما يقللّ الفجوة بين العربية واللهجة الدارجة.

ومما أذكره أننا في حياتنا الدراسية قد اعتدنا أن نؤلف مجموعات تلتزم الحديث بالعربية السليمة.

أما وسائل الإعلام فهي الأداة الصالحة التي تملك القدرة على التأثير في سامعيها. ومن هنا كان للإعلام الذي يلتزم اللغة الفصيحة شأنه الكبير في خلق البيئة اللغوية السليمة، وتعويدِ سامعيه أن يحاكوه في سلامة لغته وبيانها.

وإن تعاونَ النظام التربوي ووسائِل الإعلام على خطة واضحة لتعزيز اللغة الفصيحة، هو الغاية المبتغاة التي يجب أن نسعى جميعا لإنجاحها؛ كي تستعيد اللغة سلامتها ومنزلتها.

فلنحزم أمرنا جميعا، ولنبدِأ العمل بكل العزم والتصميم لنتغلب على كل المصاعب التي نواجهها ونهيئَ لغدٍ مشرق تصبح فيه اللغة العربية السليمة الأكثر انتشارا على الألسنة في مجتمعنا.

وإذا كنا قد أَلِفنا أن تكون اللغةُ العربية السليمة لغةَ التأليف ولغة الكتابة والخَطابة والمحاضراتِ والندواتِ والمؤتمرات، واللغةَ التي تستعملها المؤسسات الرسمية وأمثالُها فإننا نتشوف إلى أن تصبح يوما ما لغةَ الحديث المتداول.

فلنمض في طريقنا صعدا، نتجاوز العقبات، ونفيد من تجاربنا حتى نكونَ أقرب إلى الهدف، وسيكتب لنا النجاح والتوفيق إن واصلْنا العمل بجد دون كلال. وما ذلك على الله بعزيز.

خير ما أختم به كلمتي أن أرفع أسمى آيات الثناء والشكر للسيد الرئيس بشار الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية الذي تفضل برعاية المؤتمر تكريما للعربية وتقديرا.

وللسيد الرئيس أيادٍ على العربية لا تنسى. وقد تفضل بإصدار قانون المجمع فعزز مكانته وفتح أمامه آفاقًا من العمل تجعلُه أقدر على النهوض بمهماته، وتأدية أغراضه.

فله الحمد موصولاً بالإجلال والإكبار.